الفصل الثانى

مديح الأمراء والوزراء والوجهاء

١

كانت صلة الشعراء بالوجهاء والأشراف والأمراء والوزراء والقواد أشد من صلتهم بالملوك والخلفاء ؛ ولم يكن من الميسور دائماً أن يحظوا جميعاً بلقاء الملوك والدخول على الخلفاء، لذلك تعلّقوا بأسباب من دونهم وسيلة إلى الجاه حيناً وإلى المال أحياناً . ونظر الشعراءُ إلى هؤلاء غالباً ، نظرة الغريق إلى المنقذ ، والفقير إلى الغنى ، والمحتاج إلى المتفضّل، فامتدحوهم كما مدحوا الملوك، ولعلّ مردّ ذلك إلى أن المديح ضاق بهم عن اختراع لون مختلف لكل طبقة من طبقات الممدوحين ، أو لأنهم كانوا ينظرون إليهم نظرتهم إلى الملوك من غير تفريق أو اختلاف . وقد عرضنا فى الصفحات السابقة أغراض الشعراء ومعانيهم حين يمتدحون الملوك ؛ وعرفنا كيف كانوا يصفون هؤلاء الخلفاء ، وسنبين هنا فى إيجاز ما كانوا يقولون فى هؤلاء السادة وجهاء الأمة ، ونبلاء العشيرة وقادة الجيوش .

مدح النابغة النعمان بن الجلاح قائد الحارث بن أبى شمر الغسانى ، ومدح غيره فى الحجاز ، وكان يشيد بعلو المنزلة والسخاء والشجاعة والتدين والعقل والحجى ، وقد كان أول أمره يبعث الشكر ويرسل الثناء لما نال من كرم وندى ، ثم تكسب بذلك فأصبح هذا اللون حرفة له . وهو يصرّح فى شعره بأنه لم يمدح عمره سوقة ، وإنما يمدح العظماء والملوك .

ومدح زهيرُ بن أبى سلمى كل من قام بإصلاح ذات البين أو عمل عملا كريماً ، كما فعل مع هرم بن سنان والحارث بن عوف حين أصلحا بين عبس